## - ٣ -

# الاستدعاء الدرامي للتاريخ.. وقضايا الواقع المعيش

في واقعنا العربي والإسلامي الراهن، مشكلات وأزمات ومآزق وتحديات تأخذ بخناق الأمة، وتعوق نهضتها وتقدمها وانعتاقها.. ولقد غدت همومها هذه تحتل المساحة الأوسع من فكرنا الوطني والقومي والإسلامي المعاصر.. وتستطيع «الدراما التاريخية» أن تستدعي من سنن التاريخ الإسلامي ومعاركه «وعيًا تاريخيًا» ينمي «وعينا المعاصر» بمشكلاتنا الحالية.. و«روحًا جهادية» تشحن وجدان الأمة «بالكبرياء المشروع»، وتعينها على ترتيب الأوراق والأولويات، وتعظيم الإمكانات، وحشد الطاقات لتحقيق الانتصار على هذه التحديات المعاصرة.

خصوصًا وأن «للدراما» دوائر للتأثير أوسع من دائرة القراءة للكتب والمقالات.. وتأثيرًا أفعل لدى المشاهدين لها - بحكم تعدد أدوات التأثير فيها.. وبحكم نفاذ الأسلوب الفني.. وبحكم الثورة الحادثة اليوم في وسائل توصيلها إلى المشاهدين .. وهو تأثير يفوق - بما لا يقاس - تأثير الكلام المقروء..

وإذا شئنا إشارات إلى عدد من القضايا والمشكلات والتحديات، التي تواجهها أمتنا في هذه المرحلة من تاريخها.. والتي يمكن «للدراما» التاريخية أن تزيد وعينا بها، وبقوانين وسنن التعامل معها.. فإننا نشير إلى:

## ❑ تداعي الأمم على الإسلام وأمته وحضارته:

والتحالفات غير المقدسة التي جمعت وتجمع قوى دولية ومذاهب وأيديولوچيات وديانات، بينها الكثير من التناقضات والعداوات التاريخية.. لكنها اجتمعت وتداعت اليوم ضد أمة الإسلام.. حتى لقد أصبحنا نردد كثيرًا حديث رسول الله ﷺ الذي تنبأ فيه بتداعي الأمم علينا، والذي قال فيه:

**- «يوشك أن تتداعى عليكم كل الأمم من كل أفق كما تداعى الأَكَلَة على قصعتها».**

- قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟

- قال: **«أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن».**

- قلنا: ما الوهن؟

- قال: **«حب الحياة وكراهية الموت»** - رواه أبو داود والإمام أحمد ...

وحتى أصبح هذا «التداعي» مصدرًا لرياح الهزيمة واليأس والقنوط التي تهب على قطاعات واسعة من الناس.

لقد تحالفت الصليبية الغربية مع الصهيونية اليهودية ضد الإسلام والمسلمين، رغم ما بينهما ـ دينيًّا وتاريخيًّا ـ من تناقضات واضطهادات وثارات.. بل ومدت الصهيونية حبال تحالفاتها مع الهندوسية، ضد ما يسمونه «الخطر الإسلامي العالمي»!.. وغدت هذه التحالفات ـ غير المقدسة ـ من أخطر التحديات التي تواجه المسلمين في لحظاتهم الراهنة..

صحيح أن الجهاد الفكري يذكّر المسلمين بأن هذا التداعي هو سنة من سنن التدافع بين الحق والباطل، حدثنا عنها القرآن الكريم.. وأنها دليل على أننا على الحق، وأن الباطل هو الذي جمع ويجمع أطراف هذه التحالفات غير المقدسة.. ومن ثم فلا مبرر لليأس أو القنوط.. بل على العكس، إنها آية من آيات النصر القادم للإسلام، بإذن الله..

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨].

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ـ ١٧٤].

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ

﴿ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [الأحزاب: ١٠ ـ ١١].

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۖ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢﴾ [الأحزاب: ٢٢]..

**والسؤال:**

ـ هل في تاريخنا الإسلامي أشباه ونظائر يمكن أن تستدعيها «الدراما التاريخية»، لتزيد وعينا المعاصر بسنن المواجهة لهذه التحالفات غير المقدسة؟.. ولتسهم في تفجير الطاقات التي تعين الأمة على التصدي لهذه المخاطر التي تأخذ منا بالخناق؟!.

إننا نجيب ـ على هذا التساؤل ـ بنعم.. ونلفت النظر إلى حقبتين من حقب تاريخنا الإسلامي، تستطيع «الدراما التاريخية» أن تستدعي منهما الوقائع والأحداث التي توحي وتلهم وتخدم موقفنا الراهن أمام هذا «التداعي» وهذه التحالفات...

* * *